كلمة الناشر

ان الغايات التي يبصرها رجال الرشاد من ذوي الادمغة الحادة والفكر الوقاد ويبذلون جهودهم بحل كل عقدة تكون باعتبارها حجر عثرة في سبيل نجاحها ربما تبرز بصورة بعيدة جدا عن ان تدرك الافكار مغزاها الغامض او تحصل على اقل تحليل تنكشط فيه غشاوة الغموض عن وجهها — لذلك نرى الانظار الحائمة حول ذلك السر المطلسم مضطربة في حكمها خاضعة لسيطرة العجز والقصور . لا ترى من ذلك الشكل وهاتيك الصورة غير الوجه البارز منه فتراها تحكم عليه قبل كل شيء بالشذوذ والتزييف تارة وبالتهور والتمرد تارة اخرى - وربما تعمق بعض الافكار الى قعر تلك الغايات فادرك منها معنى هو اللباب الاصلي فيختلف قليلا عن الافكار الاولى بما توصل اليه من التعمق في النظر والدقة في الفحص والتنقيب ولكنه مهما بالغ في الفحص وبلغ من الادراك فانه لم يكن ليقف على السر النهائي الذي ادركه اولئك الافذاذ من اعاظم البشر لتلك الغايات فتراه يلقي عليها حكما هو اهون بكثير من الحكم الاول ويكون قد خفف من وطأة ذلك الحكم الصارم من الشذوذ او التهور واقل ما يحكم عليه انها وقعت بصورة غير مقبولة في مطارح الانظار وبادي الافكار وكم تبقى القضايا متلفلفة بين طبقات الغموض وسابحة في ظلمات الابهام دورا وادوارا حتى تظهر لها النتائج الصالحة تجلي ذلك السر باجلى مظاهره . فنكون قد وقفنا على الزبد بعد

ذلك المخاض الطويل و ادركنا الغاية التي طالما اضطربت في حالها افكار المفكرين وتهافت على لهيبها فراش الباحثين المنقبين .

واذا كانت تلك الغايات والمغازي هي بحسب الآراء المتشعبه معدودة بالاصابع ووقايعها محصوره بافراد فاني ربما اجرء على حصرها حصرا افرادياً بواحدة . هي واقعة الطف الغريبة الشكل واحكم على ماعداها بالبيان والوضوح والسهوله والانكشاف . وواقعة الطف هي التي قام فيها رمز الشهامه الامام الحسين ابن علي سبط رسول الله ص في طف كربلا من اعمال العراق . فقد قطعت هذه الواقعه شوطا بعيدا من عمرها وهي تلقي العالم في كل دور مظاهرا من مظاهرها وتبرز نتيجه حسنه من مواليدها وكلما ازداد الجدال حولها بين فرق المسلمين ازدادت نفسية الحسين عليه السلام سموا وعلوا حتى كادت ان تكون هي العامل الوحيد لاحياء دين جده النبي العربي ص بحيث كانت اسياف المسلمين ببدر وحنين والجمل وصفين بازائها كجزء مقوم للدين من سبعين جزء منها وهي الواقعة المشهوده التي عثر الباطل فيها عثرة لا يرجي له النهوض بعدها الى آخر الابد . و بما ان هذه الواقعة لم تكن ذات جهة بسيطه ووجه واحد يمكن ان يدور حوله النقد والرد والكر والطرد وانما هي واقعة ذات وقائع وقضية ذات قضايا وجرثومه ذات اغصان مختلفة الجنس والنوع يقف النظار عند كل شعبة منها ويحوم طائر الفكر فوق كل غصن من اغصانها فيمكنني القول ان لكل شعبة من هذه الواقعة وجوها واحتمالات تطرح

على منضدة الاقناع في مقام الجواب وكل وجهتها كاف لتبرير موقفها امام النفوس الناقده . وقد كنت اشاهد داءما حشرجة نقدتتردد بين حناجر الصاخبين عما يخص بعض جهات هذه الواقعة وكنت اود ان استخرجها بسهولة كلما قابلت صاخبا او ناقدا غير ان الاوضاع برهنت ان تلك الحشرجه لا تخرج ولن تخرج مادام التعصب للمذهبي التصرف في النفوس الوضيعه والتلاعب في العقول المحدوده .

وقد كانت ظاهرة حمل الحسين عائلته الى العراق مما تلوكها الالسن وتمضغها الاشداق فتغص الاندية الطافحة بالالقاب الفخمه والشخصيات البارزه بهذه الظاهرة واضرابها ويتسع نطاق المحاضرات حولها مما يبرز فيها التحامل باسم النقد و السخريه باسم الحقيقــة . وربما اسفر صبح الحقيقة عن مثل جبين الشمس وانكشف ستار الحق عن مثل رابعة النهار ولكنك لا ترى لهذه العوامل اثرا محسوسا في تلك النفوس الناقده يقابله القبول او التسليم وما ذاك الالان التعصب قــد نفذ في اعماقها واستقل بها استقلالا تاما يصعب معه ان تسيطر عليها كل قوة من قوى البرهنه والاستدلال . واذا كان البرهان عاجزا عن القيام تجاه التعصب والتصلب فانه غير عاجز عن الوقوف امام طلاب الحقيقة ورواد الانصاف مما نسمع بهم كثيرا . وقد حدثنا الحاج طالب احد نواب المنتفق وكبار رجال الحصريه ان النوادي البغداديه طالما تفكهت بالظواهر الحسينيه وعلى الاخص ظاهرة حمل العائله الى كربلا مع علم ذلك الامام العظيم

انه سوف يقتل وان كريمانه وعقائله سوف تسبى وليس في بادي النظر شيء يصحح لنا حمل المائلة النبوية الى السبي وعرضهن على الملك وكانت قد دارت هذه الظاهرة في مجلس الحاج طالب بين رد ونقد وقطعت شوطا من الليل بين اخذ ورد وجدال وجلاد . ولكن هل وقفت هذه للعركة العنيفة والحملة الشعواء على حد وانتهت الى غاية . ام بقيت تتقاذفها اكف الترديد والتشكيك اجل بقيت كذلك . فرأى الواجب ان اطرح مثل هذه العويصة والقيها بين يدي اكبر فيلسوف ديني في عصرنا الحاضر واستجلي الحقيقة من فيض معارفه . ذاك الفذ الوحيد الزعيم الديني حجة الاسلام الشيخ (محمد الحسين) آل كاشف الغطاء ادام الله ظله فجاء الجواب منه طال عمره رسالة وحيدة في بابها بديعة في اسلوبها مصدرة بمقدمة المحروس ولده الشيخ عبد الحليم ومذيله بخاتمة له . واننا مهما وقفنا على حقيقة المحروس وقدرنا له مكانه من العرفان فاننا لا نستطيع الحكم بان مقدمته هذه لم تتغلغل بين اسطرها روح ابيه الشفافه ولم نرشح عليها نفحة من ذلك الفيض الالهي وان ليست للمقدمه سوى ما هي مقدمته وكانها طبقت على نفسها مادة اللف والنشر . وكيف كان فهذه الرسالة قد حلت عقدة هذا الاشكال العضال ولم يبق معها الشك من مجال ولذا نشطت معالي همة الوجيه الحاج طالب الى طبعها على نفقته تعميما للنفع والفايده وخدمة للحقيقة ادام الله له التوفيق والعناية بالله الاستعانة

عبد الهدي للطاري

نبذة
من السياسة الحسينية

لجامعها

عبد الحليم آل كاشف الغطاء

النجفي

(طبع على نفقة حضرة الوجيه حاج طالب الحاج محمد على)

نائب لواء المنتفك

النجف الاشرف : المطبعة العلوية

بسم الله الرحمن الرحيم

دفع الى حضرة الامام الحجة (والدي) دامت بركاته كتابا كان قد ورد اليه وهـذا نصه

من الناصريه ٢٠ شوال سنة ١٣٤٨ هجـ

سيدي حجة الاسلام . ومرجع الانام آية الله الشيخ (محمد حسين) كاشف الغطاء مد ظله

ان بعض المواضيع التي ليست بذات اهميه . ربما تعرض عليها عوارض التشكيك وطوارئ النقد فتكون اهم نقطة يوجه اليها السؤال فالعفو ان كان بسؤالي هذا شيء من الركة في البصيرة . او الضعف في المعارضه . اذا كانت الظروف قد طورته الى هذا الحد

مولاي يسئل المشكك اولنا قد هما اذا كان الحسين ع عالما بقتله في خروجه الى (كربلا) وسبي عياله فقد عرض بعرضه الى الهتك وليس في تعريضه هذا شيء من الحسن العقلي للمنوى يوازي قبح الهتك وكنت قد اجبت . ان الهتك فيه مزيد شناعة لأعمال الامويين لم تكن تحصل بقتل الحسين ع فحسب . وكانت الغاية للحسين ع

فى خروجه اطفاء نائرة الامويين ؛ والبروز فى المظلوميه ؛ بكل مظاهرها من قتل وحرق وسبي . غيران المشكك لم يقتنع ان تكون وسائل الاطفاء قد قلت على الحسين ع وهو بذلك المظهر الديني حتى احتاج الى عرض عائلته على الهتك . فالامل ان تفيضوا علينا من فيوضات انوار كم . وجلي بيانكم ، ليقف المشكك او الناقد على صراط الاعتقاد خادمكم عبد للهدى

وعلمت ان هذا الكتاب من الفاضل الاديب (الشيخ عبدالهدى) معار دام فضله . وبعد ان استو فيته بالنظر امرنى الوالدان اكتب فى هذا الموضوع جوابا على ذلك السؤال وان اعتمد على نفسى بدون الاستعانه بكاتب او كتاب الامايقتضى به التاريخ فكتبت مايلى

الشك علة البدع . ومنشأ الفساد واختلاف العقائد مامن امر الاوهو معرض له . كثيرا مايطرأ على فكر المرء فيغير مجراه و يفسد عليه معتقده حتى من البعيد ان يخلو منه امر فى هذه الحياة الدنيا . لذلك من الصالح للمرء ازالته بان ينظر فيه من هو احصف عقلا واثبت رأيا واسمي فكرا ومن تلك الامور التى تلاعبت دول الشك فى اسبابها و كثر الغط بها هى الوقعة الشهيره . . . . وحقا انها لواقعة جلت وعظمت و بالحرى ان تداولتها الشكوك . وتلاعبت بها الافكار وشخصت اليها الأنظار والان فلنداول فكرنا فيها اجابة الطلب وان كنا لسنا من اصحاب الافكار

السامية والآراء الثاقبه لكن لعل الفكر يظهر من الرد والبدل على نتيجة ناجعه

فنقول . انا اذا نظرنا الى تاريخ الحروب والوقايع نرى منها ماظهر باسم الحق والواجب الديني وهى التى تقع بين منتحلي الاديان والفرق واصحاب الحقوق والسياده . وهى محل البحث ومجال النظر ومنها ماظهر بمظهر حربي سياسى صرف . وهى حروب السياسيه التى تقع بين الامم . وبما ان واقعة الطف واقعة مذهبية داخليه ظهرت باسم الحق والواجب الدينى . لايمكن الغور فى البحث عنها . الا بعد ان نبين ذاتية الحسين ع من الجهة الدينيه عند نا . ونجعلها مقيا س البحث . فالمعتقد فيها انها ذات مقدسه لايعتريها الخطأ والزلل . تعلم بالمغيبات قبل وقوعها باذن الله وهذا الاعتقاد هوداعى البحث . ومجلب الشك فالحسين ع كما كان عالما بمقتله فى خروجه . كذلك كان عالما بمقتله فى بقائه اذ من المعلوم ماللامويين من الضغائن والاحقاد القديمه على بني هاشم فهم يتطلبون ادني حجة وفرصة للفتك بهم .. فيزيد الجائر لما راى ماللعلويين من التعصب والتصلب عليه . تأهب للانتقام فاوصى جميع ولاته وعماله بالحسين ع شرا حتى لو وجد فى استار الكعبة .. لكن لين بعض العمال وترددهم فى اقتحام مهلكة جهنميه كهذه مما امهل الحسين ع ان يصل كربلا . ولذلك نري يزيدا كثرمن عزل الولاة

والعمال ايام الحسين ع وان الحسين خاطر للموت قبل ان يصل كر بلا مرتين . ولكن قضاءالله حال دون ذلك اولا في المدينه . وذلك ان خالد بن الحكم اوالوليد ابن عتبة والى المدينة ارسل الى الحسين وابن الز بير رسولا فذهبا معا اليه : وكان عنده مروان بن الحكم فقالا الحسين عليه السلام بايع فقال لاخير في بيعة سر الخ فقال : مروان اشدد يدك بالرجل فلا يخرج حتى يبايعك فان ابى فاضرب عنقه . وقال ابن الز بير قد علمت انا كنا قد ابينا البيعة اذ دعانا اليها معوية وفى نفسه علينا مالا تجهله ومتي مانبايعك ليلا على هذه الحالة نرى انك قد اغضبتنا على انفسنا دعنا حتى نصبح وتدعو الناس الى البيعه فناتيك ونبايعك بيعة سليمة . ولم يزالا به حتى خلى عنهما وخرجا : فقال مروان تركتهما والله ولن تظفر بمثلها منهما أبدا . فقال ويحك اتشير علي أن اقتل الحسين فو الله مايسرني ان لى الدنيا وما فيها وما احسب ان قاتله يلقى الله بدمه الا خفيف الميزان يوم القيمة فقال مروان مستهزئاً ان كنت انما تركت ذاك لذاك فقد اصبت وعلى اثر ذلك عزل خالد . . . اوالوليد

﴿ ثانياً ﴾ لما صادف ع الحر الرياحي وعارضه وقال له الحسين عليه السلام ثكلتك امك الخ وما ذكرنا ذلك الا ليطلع الناقد على تشدد يزيد فى طلب الحسين عليه السلام وان لابد من قتله

مادام ممتنعا وبما ان القتل كان عند العرب امراً هينا لا اثر له فى نفوسهم آثر الحسين القتل فى خروجه مع الهتك لما له من التأثير العظيم على نفوس العرب ومن العاقبه الوخيمة على بنى امية حذراً من أن يقتل فى حرم جده : ويذهب دمه هدرا بلا تأثير عظيم على العالم الأسلامي : ولا الحصول على شرف خالد يستحق تمام الأعظام العلويين او الحصول به على اتباع يتظلمون لهم ويطالبون بحقوقهم :

واما ماقلت من انه ليس هناك حسن معنوى يوازى قبح الهتك فهل هناك حسن معنوى اكبر من تلك المحاسن التى تقدمت من شرف خالد واظهار مظلوميته : والحصول على اتباع الى غيرذلك والهتك وانكان قبيحا فى حد ذاته لكنه لم يظهر هنا للعالم بمظهر القبح : بل ظهر بمظهر المظلومية

وأما ماقلت من ان وسائل الاطفاء لم تك قد قلت على الحسين ع فذلك صحيح لم تك قد قلت عليه ، لكن تلك الوسائل لا تلبث أن يتلاشى اثرها بزوال الحسين كان لم تك شيئا فانا اذا نظرنا الى الوسائل التي يتخذها الثائر نجدها تنحصر

(اولا) بوسيلة سياسية (دعاية) تكون في بادئ امرها سلمية تجعل الامة تستنفر من تلك الدولة حتى تثور عليها

وذلك بان تنشر بينها مثالب تاريخ تلك الدولة . وفظائع اعمالها وهذه لاتكون إلا بعد مضى مدة من الزمن على الدولة حتى تتراكم عليها مثالب التأريخ : وانه يحتاج في نشرها وتشكيل جعيتها الى زمن غير قصير وانها تحتاج الى سياسة ودها، وكذب وهذه لايمكن ان يقوم بها رجل كالحسين ظاهر فى اوائل الدولة معرض بامتناعه عن البيعة للقتل فهو لائق به الكذب

(ثانياً) بوسيلة حربية وهى تقوم باشهار السيف وهى التي لامفر للحسين منها وهو اما ان يشهر السيف في مكة وللدينة فيذهب مع أصحابه الثائرين من اهل للدينة ليس له اثر فى التاريخ عظيم فانه لا يلاقى من تلك الفجائع التي تأخذ بالقسط الاوفر من التأثير على النفوس : فيذهب الحسين فى للدينة كما ذهب اصحابه من عبد الله بن الزبير وغيره من اهل للدينة لا اثر لهم فى صفحات المجد والتأريخ فقط انه يمتاز عليهم بماله من الحسب الشريف — وهذا لايزيد كفة للميزان شيئا يذكر مالم يباشره شئ آخر ....

فيتضح من ذلك للناقد ان لاسبيل له فى الانتقاد على الحسين ع فى خروجه وهو يرى ان الوسايل التي بيد الحسين ع لا تضع اثرا خالداً ويرى ان لابد له من القتل : واذا قتل بصورة بسيطة غير مفجعه لم تؤثر على النفوس اثرا كبيراً : فنقول قتل كاصحابه

. واكثر العرب يموت قتلا . . . وهذا آخر ما تفضل به علي الفكر والسلام

ثم اني رفعت هذا البيان وعرضته على مطالعه السامية وبعد أن استوفاه بالنظر . قال انه وان كان على مقربة من الصواب ولكن لا احسب ان الخصم او للمشكك يقتنع به ولا تزاح عنه به العلة ولا تنقطع به الخصومة والمسئلة تحتاج الى تشريح من البيان اوسع من هذا ثم اوعز بالحضور لديه في اوبقات فراغه والخلسات التي ينتهزها من متراكم اشغاله بالبحث والمطالعة والتدريس وفصل الخصومات فاملى على في عدة مجالس عدة وجوه حاسمة للشبهه وقاطعة الحجاج فجاءت رسالة من ابدع مايكون في بابها ، بل هي باكورة الابداع في موضوعها ،

قال دامت بركاته وامتدت فيوضاته . . . .

كتبت الى ايها الفاضل مدك الله منه بالعون والعناية — تذكر سؤال الناقد المشكك عن الحسين ع اذا كان عالماً بقتله في خروجه الى كربلا وسبى عياله فقد عرض بعرضه الى الهتك . . . وانك اجبت بان الهتك فيه مزيد شناعة لاعمال الامويين لم تكن تحصل بقتله فحسب . . . وذكرت ان المشكك لم يقتنع بهذا الجواب وطلبت مناجلى البيان ليقف المشكك على صراط الاعتقاد . فنقول وبالله المستعان

(اولا) ان هذا السؤال وامثاله من البحث والنظر الذي يتمخض عن الاعتراض والتحدي لا عمال الأئمه بل ولا عمال رسول الله وخلفائه المعصومين سلام الله عليهم — لا موقع له على اصول مذهبنا معشر الاماميه الذين قادنا الدليل والبرهان الى القول بعصمة اولئك النفر المخصوص فليس مثلهم عندنا في مناهجهم الخاصه واعمالهم التي تصدر عنهم طول حياتهم بين البشر الا كمثل رجل عرف منه الملك تمام الكفائه . واحرز منه صدق الطاعه فارسله سفيرا الى قوم يبث بينهم الدعايه . ويقوم فيهم بالارشاد والهداية . وزوده بمنهاج مخصوص والزمه ان لا ينحرف عنه قيدشعره ولكل واحد من الانبياء والأئمه سجل خاص به من بدء قيامه بالسفارة والدعوة الى منتهي اجله حسب المصالح ومناسبات الظروف الخاصه والحكم التى اقتضت لذلك الملك الحكيم ان يسجلها على ذلك السفير من قتل اوسم اواسر اوغير ذلك من قضايا التضحية والمفادات وعبأ السؤال وعناء البحث عن تلك الحكم والاسرار مطروح عن الرعيه وهو تكلف زائد بل ربما يكون نفس السفير غير واقف عليها تماما . . . انما يجد في سجل احواله عليك ان تبذل نفسك للقتل في الوقت الفلاني فيقول سمعا وطاعه وليس له حق السؤال والمراجعه عن الحكمه والمصلحه بعد ان كان من اليقين على مثل ضوء الشمس ان قضايا ذلك الحكيم واجزاءه كلها منبعثه عن اقصى ما يمكن من الصلاح

ومعالي الحكمه (ليس في الامكان ابدع مما كان) وكل هذه النظريات سلسلة عقائد يبتني بعضها على بعض . وكلها مدعومة بالحجة والبرهان مما تمخضت عنه عقول الفلاسفه وآراء الحكماء من ابعد معاهد العلم والتاريخ وكلها فروع اصل واحد ينتهي اليه البحث والجدل وتنقطع عنده الخصومه وماهو الا اثبات العناية الازليه والقوة القاهرة الشاعره وانها هي المدبرة لهذه العوامل لا الطبيعة العمياء والمادة الصماء الفاقده للحس والشعور وبعد اثبات تلك العنايه ورسوخ الاعتقاد بها يهون ويسهل اثبات ما يتفرع عليها من تلك النظريات . وان من لازم تلك العنايه بعث الهداة والمرشدين البالغين اقصى مراتب الكمال البشرى لتكميل الناقصين من بني جنسهم ولا يتسنى التكميل والاهتداء الا بالتسليم والانقياد لهم واليقين بعصمتهم عن الخطا والخطيئه وانهم مؤيدون بتلك العناية وبعد الالزام بكل هاتيك المبادى عن براهينها الرصينه لا يبقى مجال الشك والارتياب والنقد والاعتراض في شيء من احكامهم مهما كانت من الفظاعة والاستنكار في مطارح العقول المحدوده والافكار المحجوبه . . .

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ولعل الى ذلك اشاروا سلام الله عليهم بقولهم (ان صح الحديث) نحن اسرار الله المودعه في هيا كل

البشرية يا سادة ان انزلونا عن الربوبية ثم قولوا فينا ما استطعتم فان البحر لا ينزف . وسر الغيب لا يعرف وكلمة الله لا توصف ومن قال هناك لم وبم وفيم فقد كفر ؛ ولعل المراد بالكفر معناه الاول وهو الظلام (ان صح ان الليل كافر) يعني ان من تعرض لتلك الاعتراضات ؛ فقد ظلم واظلم كمن خاض في لج من الظلمات . . .

وماذكرت هذه النبذة الا للاشارة الى جواب ذلك السؤال من الوجهة الدينيه محضا وان كنت اعلم ان ذلك مما لا يعول عليه المشكك الناقد ولا يعتد به المعترض المتحير سيما لو كان ممن لا يعرف الحسين عليه السلام كما تعرفه علماء الشيعة وخواصها اماما معصوما لا يتطارق اليه العبث والعبث فضلا عن الغلط والاشتباه — بل غاية ما يقول فيه انه من علية الرجال وافاضلهم نسبا ونفسا . شجاعة وبراعة لكن لا يمنع كل ذلك من ان يجرى عليه ما يجري على غيره من نوابغ الدهر وافذاذ البشر من الصواب تارة والخطأ اخرى والاستقامة احيانا والالتواء حينا وكرم سجاياه وعظم مزاياه لا يقع سدا بين العقول وبين النقد عليه في بعض سيرته وسياسته ان لم يكن في كلها (والكمال لله) وحينئذ فلنفرض الحسين ع كما يفترضه السائل — زعيما من الزعماء يرى نفسه بما اوتي من شرف الحسب والنسب اولى بالخلافة من يزيد واحق بالملك منه ولا جرم انه يبذل كلما في وسعه لاستعادة ذلك الحق

للمغصوب منه ومن ابيه — اولا — فعلي الاقل انه لايبايع يزيد ويصير رعية له مع ماهو للعلوم من حال يزيد من المجاهرة باحياء كل رذيله وامانة كل فضيله وعليه فالجواب الذى ذكرته اذا كسى حلة اخرى من البيان لم يكن للخصم لو انصف ان لا يقتنع به . . . .

وهل من سبيل الى الكشف عن نفسية يزيد وخسة طبعه وعدم اهليته من حيث لؤم عنصره وخبث سريرته وقبح سيرته مع قطع النظر عن الدين والشرع — اقرب واصوب وأعمق أثراً في النفوس عامه والعرب خاصة وللمسلمين بالاخص — من هتك حرم النبوة ص وودائع الرسالة وحملهم اسارى من بلد الى بلد ومن قفر الى قفر ؟ وهل أعظم فظاعة وشناعة من التشفي والانتقام بالنساء والاطفال بعد قتل الرجال — وأي ظفر وغلبة على يزيد اعظم من اشهارهذه الجرائم عنه ،

أما القتل فقد كان عندالعرب اهون شيء وهو امر معتاد متعارف لا شيء فيه من الفظاعة والغرابة . فكان الحسين عليه السلام اعرف ان يزيد وابن زياد من خبث الذات وسوء الملكة مستعد ان لتلك الجرائم فاراد ان يبرزها منهم الى الوجود وتكون الناس منهم على بينة محسوسة ، ثم يكون الغالب بعدها هو المغلوب والقاهر هو المقهور — نعم يزيد قتل الحسين عليه السلام وانصاره ولكن الحسين

قتل يزيد وكل بني امية باعظم من قتلهم له بالف مرة — قتلهم يزيد يوما واحداً — وقتلوه وقومه الى آخر الابد ...

فاى الظفرين اعظم ؟ واى القتلتين اكبر —

وهذه الفلسفة قد ادركها حتى الباحثون من الاجانب عن الاسلام .

وقد للمع اليها المستشرق الالمانى (المسيو ماربين) حيث قال : لما كان الحسين يعلم عداوة بني أمية وبني هاشم ويعرف انه بعد قتله يأسرون عياله واطفاله وذلك يؤيد مقصده ويكون له اثر عظيم في قلوب المسلمين سيما العرب كما وقع ذلك حملهم معه وجاء بهم من المدينة الى ان قال : ولما كانت انظار المادمين محدوده وافكارهم قاصرة لايدركون مقاصد الحسين العالية ... وآخر ما اجابهم به — ان الله شاء ذلك وجدى امرنى به فقالوا ان كنت تمضى الى القتل فما وجه حملك النسوة والاطفال فقال ان الله شاء ان يراهن سبايا انتهى (اقول) وهذا الجواب ليس كما تخيله المستشرق جوابا اقناعيا . ودفعا وقتيا . بل له مقامه الراهن من الحقيقه .. ولعل الله سبحانه وجده ص انما امراه بذلك كى يفتضح يزيد ويظهر حاله للناس . ونحن لانقول ان الطرق لهتك يزيد انحصرت بهتك العيال ولكن نقول انه كان احد الطرق التى لها التأثير الكبير فى المقصود .. والقول انه لايجوز فى الدين ان يعرض نسائه للهتك مهما كان الامر

فهو منبعث عن البساطة والسذاجه — فان الذى لايساعد عليه الدين بل ولاتسمح به الغيره — هو تعريض الانسان عرضه للهتك للموجب لما يمس الشرف ويخدش رواق العفه والصيانة ، وسرادق النجابة والحصانة ؛ اما الهتك الذي تستحكم به عرى القدس والطهارة والعزة والمنعة فذلك مما لايشين ولايهين وتلك الحرائر (صلوات الله عليهن) مهما سفرن فهن محجبات ، ومهما تبذلن فهن مصونات . وهن (بحيث النجم من يد المتناول)

يشع على وجه البراقع نورها فحسب راء انهن سوافر

والغرض أن هذا الجواب محكم رصين وله حظه من الحقيقة . واذا لم يقنع به الناقد وللشكك فهناك (وجه ثانى) وجيه ايضا

وهو ان الحسين عليه السلام فى كل ادواره واطواره ومنذ نشأوشب الى آخر نفس من حياته كانت شيمته الشمم والشهامة ، وعزة النفس والاباء والكرامة — تتجلى وتشع من جميع حركاته وسكناته وكل أحواله وملكاته — ولو ذهبنا الى سرد الشواهد على هذا لجاء كتابا مفردا ومجموعا وافيا ...

ويخطر لى ان الحسن عليه السلام لما صالح معوية على الشروط التى لم يف بشىء منها وكان قد حضر عند معوية مع خواص اصحابه للبيعه فبايع الحسن ومن معه وطلب معوية البيعة من الحسين عليه السلام

فقال دعه فانه لايبايع ولكن لا يأتيك منه سوء فقال حسبنا منه ذلك ...

وبعد ان تم الامر لمعاوية كان الحسين اذا اجتمع به فى حشد من محافل الشام اوالحجاز يناضله ويناظره فيرضخه من القول بالصلادم ، ويصك جبهته بما هو امضى من الصوارم (ورب قول انفذ من صول) ومعوية يحتمل كل ذلك منه لما يعلم من عزة نفسه وشدة شكيمته ...

مر على الحسين عشرون عاما مدة خلافة معوية ما ذاق فيها طعم الخضوع والاستكانة حتى اذا هلك معوية وامتنع عن البيعه ليزيد ورأى من السداد الهجرة عن المدينة ليعرف العالم الأسلامى امتناعه عن البيعة فخرج من المدينة بأهل بيته قاصدا مكة . ولزم الطريق الاعظم (الدرب) (السلطانى) فقيل له لو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير . فقال لا والله لافارقه ويقضى الله ماهو قاض ، فالحسين وعلى ذكره السلام ، وهو يحمل بين جنبيه هذه النفس الكبيرة لما اراد الخروج من مكة الى العراق ابت نفسه الكريمة وانفت همته القعساء ان يخرج هو وولدانه وغلمانه على ظهور خيولهم خروج المتشرد الخائف ، والنافر الفزع ، ولم يرض لنفسه إلا ان يظهر بأسمى مظاهر الابهة والهيبة والجلال والحشمة فى

للموكب الملوكي وفخامة للملك والسلطان

ومن المعلوم ان حمل الحرم والعائلة من لوازم الفخامة والعظمة وشوكة للنطاق والسرادق مالا يحصل بدونهما ،، ولو خرج سلام الله عليه من اوطانه وترك عائلته فى عقر دارهم لكان خروجه اشبه مايكون بصعاليك العرب واهل الغزو والغارات والمتلصصين وحاشا لسيد اهل الاباء ان يرضى لنفسه بتلك المنزلة النازله والخطة السافله بل سار باهله وذراريه ليكون على مهاد الدعة والسكينة والهدو والطمانينه كسيرة اكبر ملك من ملوك الدنيا واوسعهم فى القدرة والسلطان ، ،،

ولا تخالن ان فى كلامي هذا ضربا من الخيال اوشيئا من المبالغة والغلو . . . كلا . . فانك لونظرت الى بعض الخصوصيات فى سيره او جدت منها اوثق شاهد لك على ما ادعيناه . . . انعم النظر فى (قصة الحر) التى اتفقت على نقلها ارباب المقاتل وامناء التاريخ والسير حيث التقى بالحسين فى قفر من الارض لاماء فيه ولا كلاء وقد امض به وباصحابه العطش وهم زهاء الف فارس على الف فرس فقال الحسين ع لفتيانه اسقوا القوم واوردوهم الماء ورشفوا الخيل ترشيفا ففعلوا واقبلوا يملؤن القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فاذا عب فيها ثلاثا او اربعا او خمسا عزلت عنه وسقي آخر حتى سقوها عن آخرها . . . فانظر (اولا) واعجب ماشئت ـ بهذا الحنان والرحمه والعطف والاشفاق فان القوم

الذين سقاهم الحسين ع كانوا اعداءه وقد جاؤا من قبل ابن زياد لقبض على الحسين عليه السلام حتى ان علي بن طعان المحاربي (وهو عراقي) من اصحاب الحر - لم يعرف كيف يشرب من الراوية وكيف يخنث السقاء كما يفعله الحجازي فكان يشرب والماء يسيل على اشداقه وثيابه فنزل الحسين بنفسه وخنث له السقاء حتى شرب وارتوى : واعجب (ثانيا) لايثاره بالماء في بادية قحلاء وصحصحان اجرد ؛ والماء فيه اعز من الذهب وقد لايجدونه في يومين او ثلاث او اكثر - فاي سخاء هذا السخاء واي نفس تلك النفس : واعجب (ثالثا) وهو محل الغرض — كم كانت سعة ذلك الموكب السلطاني ؛ وادارة ذلك الركاب الملوكي ؛ وكم كان يحمل من الماء حيث سقى نفسه واعدائه — سقى الف فارس والف فرس . وعلى اقل تقدير ان النفوس التي كانت مع الحسين ع من اولاده وانصاره وعيالاتهم الف نفس وحولتهم (المكاره) التي تحمل خيامهم وامتعتهم وما اليها من قدور وقصاع وطساس ونحوها الفين من الخيل والبغال غير الابل فتكون النفوس المحتاجه الى الارواء بالماء في ذلك الموكب على اقل التقادير خمسة آلاف او اربعة آلاف نسمه غير الفضلة الاحتياطية التي سقى منها الحر واصحابه وخيولهم - فالموكب الذي يحمل من الماء ما يروي ستة آلاف اوسبعة آلاف نسمه — كم ترى يكون ضخامة ملكه وفخامة سلطانه

. . . . واذا صح مارواه الطريحي في (مجمع) البحرين من ان الحسين عليه السلام لما نزل كربلا اشترى ارض نينوى والغاضرية من بني اسد بستين الف درهم واشترط عليهم ان يدلوا زواره على قبره ويضيفوهم (انتهى بمعناه) فكم كان معه من الاموال والنقود التي يكون فضلتها ستون الفا وازيدك شاهدا على ذلك من عظمه للملك والسلطان قضية محمد بشير الحضرمي التي رواها السيد بن طاوس وغيره حين قيل له ليلة عاشورا - ليلة القلق والارق - الليلة التي كانت للمنايا فيها على الحوايا والحمام يحوم فيها على الخيام - قيل له ان ابنك اسر في ثغري الري فقال عند الله احتسبه ونفسي ما احب ان يوسر وانا ابقى بعده فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال له رحمك الله انت في حل من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك فقال اكلتني السباع حيا ان فارقتك قال فاعط ابنك هذه الاثواب البرود يستعين بها في فداء اخيه فاعطاه خمسة اثواب قيمتها الف دينار وعليه فيكون قيمة كل ثوب مائتي دينار (مائة ليرة ذهب) وانا الا ادري ما كانت تلك الثياب التي قيمة الواحد منها مائة ليرة وكم كان معه مثلها ولماذا يحملها وامثالها معه في تلك المراحل هذه اسئولة لعلك في غنى عن تكلفي الجواب عنها ؟ ولكن ايها الناقد المشكك أتحسب ان الحسين ع كان صعلوكا من صعاليك العرب ولئيما من لئامها كابن الزبير الذي يقول لجنده : اكلتم تمري وعصيتم امري ؟ ويقول للوافد عليه المستجدي منه

بعد ان قال له : ان ناقتي قد نقبت فقال ارقعها بجلب واخصفها بسبت فقال الوافد : لعن الله ناقة حملتني اليك فقال : ان وراكبها ... لا ياهذا الحسين اكبر مما تظن ـ الحسين اكبر من ان يتخلص من طواغيت بنى اميه الذين ارادوا سفك دمه في حرم الله فتنتهك به حرمة الحرم كما فعل ابن الزبير وفعلوا به ـ هو اكبر من ان يخلص بنفسه ويترك عياله يشرأبون اليه ويتطلعون الى اخباره ، و يناشدون الركبان عنه : واما ماتخيلته من ان هتك الحريم لا يقدم الغيور عليه مهما كان الامر فهو وهم زايف وقد عرفناك ان الهتك المشين هو الذى يلمس اذيال العفه ويمس ذلاذل الشرف لا الذي تستحكم به اسوار الصون وسياج العفاف وبعد هذا كله فهل اقنعك هذا الوجه وعرفت كيف كانت منزلة الحسين من عظمة الشان وسمو السلطان

وهناك وجه (ثالث) لحمل العيال ـــ وهو ما كانت العرب عليه من انهم اذا ارادوا ان يستميتوا في الحرب ويصبروا الطعن والضرب جعلوا الحريم خلفهم واستقبلوا العدو فاما الحتف او الفتح ويستحيل عندهم النكوص اوالفرار وترك الحريم للذل والاسار ويشهد لهذا عدة وقائع لاتغيب عن الضليع فى تاريخ العرب منها ماوقع لثقيف وهوازن في غزوة حنين فلعله سلام الله عليه حمل العيال كى يستميت اصحابه دونها وينالوا درجة السعادة بالشهاده كما فعلوا وهناك (وجه

رابع) لعله اوجه من تلك الوجوه واقربهما الى الحقيقيه وان كانت للحسين ع ملحوظة وراء التعبد والانقياد والرضا والتسليم المشية القاهره وكانت سياسته عن فلسفة نظريه ، وتدابير بشريه فهى هذه للملاحظة التى سوف نبديها ونشيراليها على الجمله حيث لاسعة للتفصيل تقول ايها الناقد ــــ ان الحسين ع كان يعلم انه يقتل ، نعم وانا اقول كذلك بل يعلم ان جميع من معه من الرجال بل وكثير من الاطفال يقتلون حتى الرضيع ولا يفلت الاولده زين العابدين من اجل العلة والمرض ــــ فلما علم ذلك كله وعلم ان بنى اميه واشياعهم سوف يموهون بل كانوا قدموهوا على المسلمين ان الحسين ع خارج على امام زمانه وهو يزيد المنصوب بالنص عليه بالاستخلاف من الخليفة الذى قبله وهومعويه فالحسين بخروجه باغ وحكم الباغى القتل (فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله) فيكون هذه الفتوي وهذا التمويه اعظم على الحسين من قتله وهذا الطلاء المبهرج وان كان لايخفى على العارفين والنياقده ولكنهم بالضرورة خاضعون للسلطة قدشملتهم الذله ، واخملتهم القله ، والجمهم الخوف والتقيه سيما بعد الفراغ من امر الحسين ع فلارحمة لاحد بعده ولاحرمه ،،، والناس كما قال هو سلام الله عليه يوم الطف ـ وكما هو حالهم اليوم ـ عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم . . . فمن ذا يقدر ان ينبس بالحقيقة فضلا عن الاجهار بها وسوف يزيد وابن زياد فوق ارؤسهم

واموالهم نصب اعينهم - وتعلم كيف يلعب الرجاء والخوف في النفوس فحينئذ فلا يمر حول اوحولان الا وقد سجل التأريخ ان الحسين ع (واستغفر الله) باغ عاتي وقد قتل بحكم شريعة جده

ويعضد الناقد فريته بقوله ، هلا بايع كما بايع اخوه الحسن عليه السلام ودفع عن نفسه واهله القتل

وهذه عند الحسين وهو علم الحق ومنار الهدى وجسم روح الغيرة والاباء ، رزية لارزية فوقها ومصيبة لامصيبة اعظم منها ؛ فعلى من يعتمد الحسين عليه السلام فى دفع هذه الغائله ؛ وتفنيد هذه الضلالة ؛ وانقاذ المسلمين من هـذه الورطة المهلكة ، أعلى رجاله وكلهم سوف يقتلون معه بعلم منه . ام على زين العابدين وهوا سير مشغول بعلته وقتله اهون عليهم من قتل ذبابه . فمن يقوم الحسين بهذه المهمة بعد قتله ، ومن ذا يقرع بالحجة ، ويوضح المحجة ، ويكشف الحقيقـة ؛ و يتعقب القضيـة . ويخطب فى النوادى الحاشدة . والجوامع الحافله ؛ تلك الخطب البليغة ؛ والحجج الدامغة ، تصور ذلك العصر مليا واستوسع التأمل فى تلك الاوضاع وانظر هل كان من الممكن ان يقوم بشىء من ذلك اكبر رجل باسل ، وهب ان من الممكن ان يفادي رجل بنفسه الحق وابداء الحقيقة ولكن هل يمهلوه الى ان يستوفى الغرض ويبلغ الغاية ـــــ اوليس عيد

الله بن عفيف الازدي ذلك البصير الذى ذهبت عيناه واحدة يوم الجمل والاخرى بصفين ، ثم ذهبت عيناه ولكن فتح الله له فى قلبه عشرة عيون وسقط الجهاد عنه بيده ولكن جاهد فى لسانه بعشرة اسياف الى ان احرز الشهادة فى هذا السبيل ، فانه لما سمع خطبة ابن زياد على منبر الكوفة بعد قتل الحسين عليه السلام وهو يقول الحمد لله الذى نصر امير المؤمنين يزيد واشياعه وقتل الكذاب بن الكذاب ...

نهضت به الحمية والحماسة للحق وفادى بنفسه فى ذلك الحشد الرهيب فقام وقطع عليه خطبته قائلا له ، ان الكذاب بن الكذاب انت وابوك ومن استعملك ياعدو الله اتقتلون اولاد النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين فغضب ابن زياد وقال من هذا المتكلم فقال انا المتكلم ياعدو الله اتقتل الذرية الطاهرة التى اذهب الله عنهم الرجس وتزعم انك على دين الاسلام واغوثاه اين اولاد المهاجرين والانصار لينتقموا من طاغيتك اللعين بن اللعين على لسان (محمد ص) فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت اوداجه و قال علىّ به فقام الجلاوزة فاخذوه ، وقامت الأشراف من الازد عشيرته فخلصوه ، وانطلقوا به الى منزله

ولكن هل خلص ونجى من ذلك الطاغية ، وهل كان آخر امره إلا

ان أحضر بين يديه فضرب عنقه صبرا وصلب جثمانه فى السبخه فى قصة طويله ؛ وماظفر ابن زياد به إلا بعد حرب سجال وتحريش منه خبيث بين اليمانية وللضربة على قاعدة التفريق ؛

ثم ماانكر على ابن زياد الا عبد الله بن عفيف رضوان الله عليه والا ذلك الصحابى الضعيف بكل مواقع الضعف ؛ الا وهو زيد ابن ارقم فانه حين رأى رأس الحسين عليه السلام بين يدى بن زياد وهو يضربه بعوده قال له ارفع عودك عن هاتين الشفتين فو الله لقد رأيت رسول الله ص يقبلهما ثم بكى زيد فقال له ذلك الجبت اتبكي لما فتح الله للامير لولا انك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لاخذت الذى فيه عيناك فخرج زيد وهو يقول : ملك عبد حراً —

انتم يامعشر العرب عبيد بعد اليوم قتلتم ابن بنت رسول الله وامرتم ابن مرجانه ... ولا استحضر منكرا على أبن زياد غير هذين الرجلين وكلمتهما وان كانت ذات قيمة ثمينة فى مثل تلك الايام العصيبة وللمواقف الرهيبة ، ولكن أى شئ لها من التاثير وما مبلغها فى تلك التيارات الجارفة ؛ والزوابع القاصفة ، وهل هى الا كلمات قيلت وذهبت ادراج الرياح ... وهل كانت تكفى لايجاد بواعث الثورة وتكوين الانقلاب على بنى أمية وتحوير النفوس ، وغليان الافكار وتأجيج النار لطلب الثار .. كلا ثم كلا .. فان الامر يحتاج الى

اكثر من ذلك ؛ يحتاج الى المثابرة والتعقيب فى الخطب الرنانة والكلمات الملهبة وتشهير المثالب والمساوي ونقد السيئات ونعيها على تلك الدولة الغاشمة ، والسلطة الظالمة ، والحكومة الجائرة ، فان بهذا ومثله تتكون فى الامة روح ثورة وانفجار يكتسح ظلم الظالمين وتقتلع عروق الجور والاستبداد — قل لي بربك أيها الناقد — أي رجالات ذلك العصر كان يقدر على القيام بتلك المهنة ، ويقوى على النهوض بذلك العبأ

اليس قصارى امره مهما كان من البسالة والجرئة ان يقول الكلمتين والثلاث فيقال خذوه فاقتلوه فاصلبوه في السبخه أو في الكناسة

أ ليس زين العابدين عليه السلام مع انه عليل اسير (والاسير لا يقتل) قد امر ابن زياد بقتله لجواب خفيف ، وقول طفيف ، فانّ ابن زياد بعد ان فرغ من تحدي زينب واخرجته بقوة العارضة والبيان من الميدان مكموما بالخزي والخذلان ، التفت الى زين العابدين فقال من هذا فقيل له هو علي بن الحسين عليه السلام فقال أ ليس قد قتل الله عليا فقال سلام الله عليه : كان لي أخ يقال له علي قتله الناس فقال بن زياد بل الله قتله فقال الامام ﴿ الله يتوفي الانفس حين موتها ﴾ فقال له اوبك جرأة على ردجوابي ياغلمان خذوه فاضربوا عنقه ، فتعلقت به زينب وقالت يابن زياد حسبك

من دمائنا ما سفكت فان عزمت على قتله فاقتلني معه فقال الطاغيه عجبا للرحم فو الله لوددت ان تموت دونه اتركوه لما به »، وما تركه رحمة لها ولكن قدر ان العلة والاسر والاغلال والجامعة ستقضي عليه وتكفي بن زياد مؤنة قتله ،

فان سلامة زين العابدين وبقاء حياته كان من خوارق العاده وعلى خلاف مجارى الاسباب ، ولو قتل او مات فى تلك البرهة لانقطع نسل الحسين ولكن مشيئة الله سبحانه وقضاؤه السابق بأن الائمة من ذريته لا يرد ولا يغلب وكانت زينب هى السبب فى حفظه على الظاهر ، فليكن هذا وجها (خامسا) لحمل العيال فلعل الحسين عرف ان العلة والمرض لا يكفي فى سلامة ولده وانهم قد يقتلونه على مرضه وأن لزينب موقفها الباهر فى المحادات والدفاع عنه

وكل غرضنا من سحب اذيال هذا المقال ان يتجسم لديك كيف كان الحال فى كم الافواه وعقل الالسن وارجاف القلوب ، ومشق الحسام لضرب الهام على اقل كلام

إذاً فمن يرد تلك الامانة ويؤدى تلك الوديعة — وديعة الحق وامانة الصدق والانتصار للحقيقة وازهاق الباطل — نعم فمن يكفل تلك الوظائف على اوفى ما يرام واتم ما يحصل به الغرض — فمن بودائع النبوة ، وحرايز الوحي والرسالة ، ينهض بتلك الاعباء الثقيلة التى

تعجز عنها الابطال ، واسود الرجال ..

كان الحسين علم (ولاشك انه علم) انه سيقتل هو وجميع اهـل بيته وانصاره ولا يبقى رجـل يتسنى له الكشف لجهرة ذلك الخلق التعيس عن فظاعة تلك الجناية ؛ وشنـاعة تلك الجرائم السيئـة ولو اهمل هذه الناحية لاهمة لذهب قتله سدى ولفات الغرض والغـاية ، فلم يجد بدا من حمل تلك المصونات معه لتكميل ذلك المشروع الذي ابتذل نفسه ونفوس اعزته في سبيله .

وعلم سلام الله عليه ان بني امية مهما بلغوا في خرق النواميس وهتك الحرمات والتجاوز على الشناشن العربية ، والشرائع الاسلامية ولكنهم لايقدرون على قتل النساء — لايقدرون على قتل امرأة مصـابة مفجوعة تكلمت بشيء من الكلام تبر يدا لغلتها وتسكينا لوعتهـا . ويوم الطف وان قتل حزب بني امية عدة من النساء الوديعات كما قتلوا الاطفال ولكن الحرب لها احكام وشواذ لاتجرى في غيرها لا . وكلا . لايستطيع ابن زياد مهما طغى وتجبر ان يقتل ساعـة السلم امرأة عزلاء اسيرة بين يديه لا تحمـل من السلاح الا قلبهـا ولسانها ؛ قلبها درعها . ولسانها سنانها ، لايستطيع ان يقتل امرأة مهما تجرأت عليه بل ولا يستطيع ان يمد يده اليها فيضربها ان زينب العقيلة لما سودت وجه ابن زياد ولطمته تلك اللطمة السوداء

بقولها : ثكلتك امك يابن مرجانه — اسودت الدنيا فى عينه حيث عرف والحاضرون ماارادت فهم ان يضربها ولكن عمرو بن حريث وهو من اكبر القواد فى جند ابن سعد وكان اميرا على الرجالة بعد ان كان من خواص امير المؤمنين فى صفين ؛ انكر عليه وجاءه بحجة وهى انها امرأة والمرأة لاتؤاخذ بشىء من منطقها فقال ابن زياد : اما تراها كيف تجرأت على

كان الحسين وانصاره قد وقفوا يوم الطف موقفا تجسمت فيه روح الشجاعة والبسالة واصبح المثل الاعلى للعزم والاقدام والاستهانة بهذه الحياة فى سبيل العز والاباء . ودون موارد الذل . . . . وقفوا موقفا ما حدثنا التاريخ بمثله . ولا سمع الدهر بنظيره . . وقف سبعون رجلا فى مقابل سبعين الفا ومددهم الى الكوفة بل الى الشام . متواصل وهؤلاء لامدد لهم : هؤلاء على شاطىء النهر يكرعون منه : وينتهلون كل حين واولئك قد حبسوا عن الماء بوبين اوثلاث والعطش وحر الهجير ورمال الصحراء احرق اجسادهم ، وفتت اكبادهم ، واطفالهم يتصارخون من العطش نصب اعينهم . وعلى احتفاف اضعاف ذلك من الرزايا والمحن بهم . نعم ومع ذلك كله — ماهانوا ولا استكانوا ولا فشلوا ولا ذلوا . بل كانوا يزدادون بشرا وطلاقة . وعزما وصلابة

. وعزاً وشهامة .. حقا انه لموقف باهر ، ومقام قاهر ، وحديث مدهش ، ونفوس غريبة بل وفوق الغرابة بمكان — ولكن ألا ادلك على ادهى من موقف انصار الحسين عليه السلام وادهش ، وابهى وابهر — هو موقف عقائل النبوة فى مجلس يزيد وابن زياد استطيع ان تستحضر فى نفسك ؛ وتمثل فى إم رأسك — مجلس ابن زياد فى قصر الامارة بالكوفة وقد ادخلوا عليه السبايا والرؤس وفيهن الحرة الحوراء زينب الكبرى ، وهو سكران بنشوة الفتح والظفر ورؤساء الارباع والأسباع ورؤس القبائل مثول بين يديه ، والدنيا مقبلة بكل وجهها عليه ،، دخلت عليه تلك العقيلة وجلست ناحية متنكرة فابت نفسه الخبيثة ان يصفح صفح الكرام ؛ ويغضى اغضاء الاماجد — أبت نفسه الا اظهار الشماتة — ولؤم المكة ، وخبث الظفر ، وسوء الاستيلاء ، وقبيح الأثرة ،

فسأل - ولا شك انه عرفها ولكن اراد ان يتحداها ويهتكها (وهو للهتوك) وقال من هذه المتنكرة فقيل له هى زينب بنت على ع فقال لها قول الشامت الشاتم : ارأيت صنع الله باخيك الحسين والعتاة المردة من اهل بيته - فقالت قول الثابت الجنان المتدرع بدلاص اليقين والايمان ، المستحقر له ولكل ماله من قوة

وسلطان . . ماريت الاجيلا اولئك قوم كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك و بينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج ثكلتك امك يابن مرجانه . . . فلما الطمته بهذه اللطمة السوداء لم يجد سبيلا التشفي منها والانتقام الا بأسوء الكلام من السباب والشتيمة : فقال الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم واكذب احدوثتكم ، فقالت غير طائشة ولا مذعوره . . . انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا

وقف الحسين وانصاره ظهيرة عاشورا وهم على خيولهم الجياد ، وفي ايمانهم البيض الحداد ، وعلى متونهم السمر الصعاد ؛ فدرفلوا ابراد العز وتكللوا بتيجان الشرف ؛ لا يقتل منهم واحد حتى يقتلوا الفا من عدوهم (١) وهم ضاحكون مستبشرون ثقة بما يصيرون اليه بعد من منازل الفردوس الاعلى في دار النعيم كان هذا موقف الحسين وانصاره يوم الطف — ووقفت زينب بنت علي مع والخفرات من اهل بيتها في مجلس بن زياد وهم في قيد الاسار وذل الصغار لا ترى امام عينيها الا عدوا شانئا او كاشحا شامتا او قاتلا لحماتها وسراتها والبتامى والايامى حولها — كل هذه الشؤون والشجون مما تذيب القلب وتذهل اللب وتطيش عندها الاحلام وتخرس الالسنة وتموت الفطنة ولا يستطيع اجلد انسان ان ينبس بكلمة في مثل تلك الكوارث

(١) جهة الالتئام دقيقه مع ماسبق في صحيفة ٢٧ وقف سبعون رجلا في مقابل سبعين الفا بالمبالغه هنا والحقيقة هناك ١٣

افهل تخشى لو تصورت مزايا تلك الرزيا لزينب ان تقول ان موقفها عند ابن زياد كان اعظم من موقف انصار الحسين يوم الطف عند جند ابن سعد . . قل ولا تخف وعلى الاثبات . . . هل احسست فى تلك الساعة الرهيبة من زينب امام عدوها القاسى الظالم . الشامت الشاتم ان تلجلج لسانها . او اضطرب جنانها . اوظهر عليها ذرة من الذل والاستكانه او خضعت فانقطعت . اوعجزت عن ارتجال الخطب البليغه التى لوجاء بها الوادع الساكن .. والمطمئن الآمن – بعد ليال وايام لكانت آية من آيات الابداع ورمزا من رموز البراعه فكيف وقد اندفعت بها فى حشد الرجال على سبيل الارتجال ، وهى على ما عرفت من الوضع الذى عنه يقال فى الشده (بين ذراعى وجبهة الاسد) تتقاذفها لهوات الكرب ، وتلوكها وتعضها انياب النوب – حتى ان ابن زياد لما عجم عودها فرآه صلبا مراً لا يلين لغامز ؛ ولا يذل لماضغ وانها لا تنقطع ولا تنكل ؛ ولا تعرف الرهبه والخوف معنى ؛ وخشي ان لا تبقى من هتكه وفضيحته باقيه ؛ وان تقلب عليه الرأى العام وتحدث فى جماعته فتقا لا يرتق — غير من خطته وتنازل عن غلوائه وشدته فكان آخر كلامه معها بعد ان شفت غليلها منه : لعمرى انها لسجاعة ولقد كان ابوها اسجع منها ... لا يابن مرجانه — ماهى بسجاعة ، هى امثولة الصبر والثبات ... ورمز غلبة الحق على الباطل ، واحتقار الحكم

الزائف وللملك الزائل وسلطانة الخداع والمكر

لابان مرجانه — هذه زينب بنت علي الذى علم الناس الفصاحه والبراعه ، والشجاعة والسجاعه . هذه زينب بنت الزهراء البتول — لا كمرجانه وسميه ذوات الاعلام فى الجاهلية والاسلام .

هذه زينب بنت الطاهرة العذراء لا كهندالحرقاء صاحبة القارعة او الفاكه التي يقول فيها حسان شاعر النبي (ص)

لمن الصبي بجانب البطحاء . (البيتين)

وماكانت تلك الشجاعة والسجاعه منها سلام الله عليها فى مرة ومرتين بل كانت كلما ضاق الامر واشتدت المحنه وتجمهر المتفرجون عليهم عند دخولهم الكوفه وعند خروجهم منها وفى قصر الاماره وفى مجلس ابن زياد فى كل ذلك نتحدى فتدهش ، وتحتج فتفلح ، وتخطب فتعجب تخطب خطبة البليغ المدره و المصقع المفوه الذى تهيأت له كل اسباب الدعه والراحه والفراغ والطمأنينه

دخل السبي الى الكوفه بحال (يذوب الصفا منها و يشجى المحصب) فجعل اهل الكوفه ينوحون ويبكون فقال علي بن الحسين ع وقد انهكته العله تقتلنا رجالكم وتبكينا نسائكم . فالحكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء ، ثم تعاظمت الضجيجه فصار الرجال والنساء يبكون معا فقال ع اتبكون وتنوحون لنا فمن قتلنا قال بشر بن خزيم الاسدي ونظرت الى

زينب بنت علي ع يومئذ فلم ار خفرة قط انطق منها كأنما تنطق عن لسان امير المؤمنين ع وقد اومأت الى الناس ان اسكتوا ، فارتدت الانفاس وسكنت الاجراس ثم قالت الحمد لله والصلوة على ابي محمد وآله اما بعد يا اهل الكوفة يا اهل الختل والغدر ... اتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة . انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا واندفعت كالسيل المنحدر الى ان قالت : اتبكون وتنتحبون اي والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ... ويلكم اتدرون اي كبد لرسول الله فريتم . واي كريمة له ابرزتم واي دم له سفكتم واي حرمة له انتهكتم — افعجبتم ان قطرت السماء دما ولعذاب الآخرة اخزى وانتم لا تنصرون) ... فلا يستخفنكم المهل فانه لا يحفزه البدار . ولا يخاف فوت الثار وان ربكم لبالمرصاد ... قال فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا ايديهم في افواههم ورأيت شيخا يبكي حتى اخضلت لحيته وهو يقول : بابي انتم كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونساؤكم خير النساء . ونسلكم خير نسل لا يذل ولا يخزى . . . ثم خطبت ام كلثوم بخطبة بليغة ثم خطبت فاطمة الصغرى بخطبتها التي تقول في اولها — الحمد لله عدد الرمل والحصى . وزنة العرش الى الثرى الى آخر ما قالت

هذا كله وهم سائرون يساقون في السبي على الهوادج والمحامل وفي

الكوفه وعند بن زياد

ولكن هلم معي — ندخل مع هذا السبي الى الشام وننظر كيف دخوله على يزيد ووقوفهم بين يديه — ولنستبق الى مجلس يزيد نتبوأ لنا مقاعده قبل ازدحام المتفرجين وتزاحم النظاره . . . وقفنا في حاشية النادي الاموي نتطلع

هذا يزيد جالس على السرير فوق المصطبة العاليه وهو مخمور يرنح اعطافه من خمرتين خمرة العقار ، وخمرة الانتصار ، ومنتشي بنشوتين نشوة الملك ونشوة الفتح والظفر ودونه طواغيت بني اميه من الاعياص والعنابسة من بني عبد شمس وهم على كراسي الذهب والعاج ، يرفلون بحلل الحرير والديباج ، وهذه اقداح الشراب والخمور وبخب الفرح والسرور تدار عليه وعليهم ، . والاعواد والمزاهر تضرب لديهم ، فبيناهم على هذا ومثله ، اذ ادخلوا سبي آل محمد ص مربقين بالحبال بين نساء واطفال — هناك استفزته نشوة الانس والطرب وتمنى حضور اشياخه قتلى بدرمن عتبه وشيبة والوليد ليشاهدوا اخذه بثارهم وقيامه باوتارهم وانه زاد على اخذ الثار بقتل الرجال سبي العيال قائلا : (ليت اشياخي ببدر شهدوا) — هنالك قامت العقيله زينب فقالت — واسمع ماقالت ، وانظر كيف خطبت وهل راعها اوهالها شيء من تلك المظاهر الهائله ... وتامل في فقرات خطبتها التي

قصمت بها الفقار من ظهر يزيد وكانت اشد عليه من ضرب الحسام في يد الضرغام ، وانظر كيف صبرته وهو بتلك الابهة احقر من قلامه واقذر من قمامه

قامت صلوات الله عليها فقالت

صدق الله كذلك حيث يقول : ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن

أظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض وآفاق السماء فاصبحنا نساق بين يديك كما تساق الاسارى ـــ ان بنا على الله هوانا وبك عليه كرامه . وان ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بانفك ونظرت في عطفك جذلان مسرورا حين رأيت الدنيا لك مستوسقه . والامور متسقه وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، مهلا مهلا ، انسيت قول الله ، ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وامائك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن . . . وابديت . . . وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الازكياء ، ونبت لحمه بدماء الشهداء . ثم تقول غير مستعظم ولا متأثم (لأهلوا واستهلوا فرحا) ؛ ، تهتف باشياخك زعمت انك تناديهم فلتردن وشيكا موردهم ؛ ولتودن انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت و وفعلت ما فعلت ؛ حسبك بالله

حاكما ؛ و بمحمد (ص) خصيما ؛ وبجبرئيل ظاهيرا ؛ وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس الظالمين بدلا وايكم شر مكانا واضعف جندا ، اقول : الا بحرمة الانصاف و الحقيقة قل لي ؛؛؛ أتستطيع ريشة اعظم مصور وابدع ممثل ان يمثل لك حال يزيد وشموخه بانفه وزهوه بعطفه وسروره وجذله باتساق الامور وانتظام الملك ولذة الفتح والظفر والتشفي والانتقام - باحسن من ذلك التصوير والتمثيل وهل في القدرة والامكان لاحد ان يدمغ خصمه بالحجة و البيان والتقريع والتأنيب . و يبلغ منه ما بلغته سلام الله عليها بتلك الكلمات وهي على الحال التي عرفت ثم لم تقنع منه بذلك حتى ارادت ان تمثل له والحاضرين عنده : ذلة الباطل وعزة الحق وعدم الاكتراث واللمبالات بالقوة والسلطة . والهيبة والرهبة - ارادت ان تعرفه خسة قدره وضعة مقداره وشناعة فعله ؛ ولوم فرعه واصله ؛ وتعاليها عن حواره وترفعها عن مخاطبته فقالت ، وتعاظمت بحق واستطالت : ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك اني لاستصغر قدرك و استعظم تقريعك واستكبر توبيخك ؛ لكن العيون عبرى ، والصدور حري ، الا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ثم ارادت ان تجسم له عيانا مقام العزة وموضع الصبر والجلد والثبات والسكينة ارادت ان تعرفه والناس جميل النظر في العاقبة وان الامور بعواقبها

والاهوال بخوانها ، وان شرف الغاية (كما يقال) يبرر الواسطه ارادت ان تعرفه شرف آبائها وابنائها وان القتل والشهادة مازادهم الافخاراً وماجلب لعدوهم الاعارا ونارا . فقالت وماابلغ ماقالت

فكد كيدك . واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لاتمحو ذكرنا ولاتميت وحينا ؛ ولاتدرك امدنا ، ولاترحض عنك عارها وهل رأيك الافند ، وايا ملك الاعدد وجمعك الابدد ، يوم ينادى المنادى الا لعنة الله على الظالمين ، ،

فالحمد لله الذى ختم لاولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

هذا قليل من كثير تلك الخطبة التى هي آية فى البلاغة والفصاحة ، ومعجزة من معجزات البيان ، وهل يختلجك الشك والريب بان كل فقرة منها كانت على يزيد اشد من الف ضربه . وهل تشك ان هذه الخطبة وامثالها كانت هى الضربة القاضية ، على ملك يزيد ومعوية ، وهل ابقت لهم من باقية . وهل يبقى لك شك بعد ـــ ان مواقف زينب وام كلثوم وفاطمة الصغرى ورباب وسكينه فى الكوفة والشام بل فى كل موقف ومقام كان لايقصر إن لم يتفوق على موقف حماتهن وسراتهن يوم الطف وهل تشك وترتاب فى إن الحسين سلام الله عليه لوقتل هو وولده ولم يتعقبه قيام تلك

الجوار في تلك المقامات بتلك التحديات لذهب قتله جبارا ولم يطلب به احد ثارا ؟ ولضاع دمه هدرا ،

ولم يكن قتله الا كقتل عبد الله بن الزبير واخيه مصعب وامثالهما ممن خمد ذكرهم ، وضاع وترهم .

نعم لا يرتاب لبيب عارف باسباب الثورات وتكوين الانقلابات في الامم وتهييج الرأي العام ؛ ان اقوى سبب لذلك هو الخطابة والسحر البياني الذي يؤثر في العقول ويثير العواطف ... واذا استحضرت واقعة الطف للفجعة وتواليها تعلم حقا انه ماقلب الفكرة على بني سفيان ، وانقرضت دولة يزيد باسرع زمان . الا من جراء تلك الخطب وللفالات التي لم يقدر اي رجل في تلك الاوقات الحرجة والاوضاع الشاذة على القيام بادنى شيء منها . فقد تسلسلت الثورات والفتن على يزيد من بعد فاجعة الطف الى ان هلك . بل مانهضت جمعية التوابين ؛ وتلاه قيام المختار لاخذ الثار الا من اثر تلك المواقف المشهودة لزينب واخواتها ، فكان الحسين عليه السلام يعلم ان هنا عمل لابد منه وانه لايقوم به الا تلك العقائل فوجب عليه حتما ان يحملهن معه لا لأجل المظلومية بسبيهن فقط كما شرحناه في الجواب الاول بل لنظر سياسي وفكر عميق ، وهو تكميل الغرض وبلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد والمبادرة الى القضاء عليها قبل ان

تقضي على الاسلام وتعود الناس الى جاهليتها الاولى ، فقد اصبح الدين على عهد يزيد هو دين القرود والفهود . دين الخمور والفجور والضرب بالعود والطنبور ، واوشك ان يذهب دين محمد (ص) ادراج الرياح وتكون نبوته كنبوة مسيلمة وسجاح ونظرائهم اذا فجزى الله تلك الحرائر بحسن صنيعهن عن الاسلام احسن الجزاء . وكل مسلم مدين بالشكر لهن وللحسين عليه السلام اذا كان مسلما حقا ويرى للاسلام حقا عليه

وعلى هذا فيحق للجنس اللطيف (كما يسمونه اليوم) ان يفخر على الجنس الآخر بوجود مثل تلك العلويات العلويات فيه . وقد تجلى واتضح ان هذا الجنس الشريف قد يقوم باعمال كبيرة يعجز عنها الجنس الاخر ولو بذل كلما في وسعه . وان له التأثير الكبير في قلب الدول والممالك وتحوير الافكار . واثارة الرأى العـــام

وهذه نكتة واحدة من نكات السياسة الحسينيـة ، وغور نظره في الشؤون الدولية والتدابير المدنية ـــ لو قطعنـا النظر عن الوحي والامامة وجعلناه كواحد من الناس قد ثار على عدو له متغلب عليه يريد الانتقام منه يريد ان ينقله من عرشه الى نعشه ، ومن قصره الى قبره ومن ملكه الى هلكه ؛ ويريد ان يقضى على دولة ابيـه ودولته ، ولا يدع خطأ في الملك لولده وذريته

ومن تصفح سيرة معوية وجهوده العظيمه وتدابيره العميقة مدة عشرين سنة يعرف عظيم مساعيه وكم كان حريصا على توطيد دعائم الملك ليزيد . وحبسه ابدا عليه وعلى ولده حتى دس السم ألى الحسن عليه السلام وقتله مقدمة لاستخلاف يزيد . وكم استعمل العاملين القوى بين السيف والدنيار والرغبة والرهبة فى تمهيد عرش يزيد واعطائه صولجان الملك وتاج الخلافة الذى انتزعه من بني هاشم وأعمل التدابير المبرمه فى أن لا يعود اليهم ابدا ، ولكن الحسين وعلى ذكره آلاف التحية والسلام بتفاديه وتضحيته وتدابيره الفلسفية واحاطته بدقائق السياسة ، ثل ذلك العرش وهدم ذلك البنيان الذي بناه معوية فى عشرين سنة ؛ هدمه فى بضعة ايام ،،، وما أمر ذلك الغرس الذى غرسه معوية ليزيد الا العار والشنار والخزى المؤبد واللعنة الدائمة ، وصار معويه ؛ المثل الاعلى للخداع والمكر والظلم والجور والرمز لكل رذيلة ومعادات كل فضيله ؛ كل ذلك بفضل السياسة الحسينية وعظيم تضحيته وصار هو واهل بيته الى الأبد ؛ المثل الاعلى لكل رحمة ونعمة وبركة وسلام ؛ فما اكبره وما اجله ؛ وقد بقيت هناك دقائق واسرار لم يتسع الوقت لنظامها فى هذا السلك ولقد كنت اتمنى منذ عشرين سنه ان انتهز من عمرى فرصة وآخذ من مزعجات ايامى مهله لاكتب كتابا فى دقايق السياسة الحسينية واسرار

الشهادة بما لم يكتبه كاتب ؛ ولاحام حول شيء منه مؤلف ، ولا تفوه ببعضه الى اليوم خطيب ، ولكن حوادث الايام وتقلبات الصروف لاتزال تدفعني من محنة الى محنة ؛ ومن كارثة الى اخرى

كأرجوحة بين الخصاصة والغنى * ومنزلة بين الشقاوة والنعمى

حتى اصبحت كالآيس من الحصول على تلك الامنية ؛ ولا يأس من روح الله ، وهذا الذي ذكرناه هنا ، طرف من سياسة الحسين عليه السلام وناحية من نواحيها ذكرنا منه مايتعلق به الغرض في الجواب ودفع الشك والارتياب ، وفي الختام ـ ارجع فاقول مادري هل اندفع بهذه الوجوه الاربعة اوالخمسة اعتراض الناقد للشك على الحسين عليه السلام في حمل العيال وهل انكشف الستار عن تلك الاسرار (١) فان كان كل ذلك البيان لم يقنعه ولم يدفع شكه وريبه فامره الى الله ولا حسيبه الا من قال فيه سبحانه ـــ وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل آية لايؤمنوا بها . . . . والله ولي التوفيق لنا ولهم وبه المستعان

---

(١) ويحتمل البعض انوجه حمل الحسين ع العيال معه انه كان يخشى عليهن الاسر والسبي لو تركهن في بيوتهن بالمدينه لان بني اميه كانوا يتوسلون الى اخذ البيعة منه بكل وسيلة وحينئذ فاما ان يبايع او يتركهن في الاسر فان صح فهو وجه خامس اوسادس

الى هنا انتهى ماأملاه علينا حضرة الوالد فى بعض دفعات كان يأتى بها علينا تلك الحقايق الناصعة مترسلا من غير تفكر وتكلف واعداد رويه بل على البديهة وعلى نحو كلامه العادي وحديثه للمعارف و هي كدروس قيمة للعارفين فنسئله تعالى ان يديم للاسلام وللمسلمين بركات وجوده وفيوض علومه ان شاء الله تعالى

عبدالحليم ال كاشف الغطاء

فهرست الكتاب

صفحه

صفحه